Cornell Capa (ed.), **Israel The Reality**
(N. Y., World Publishing Co., 1969).

يحق لنا أن نفترض أن محرر هذا الكتاب شعر أنه يستطيع أن يعطي له هذا العنوان الصارخ « اسرائيل الواقع » لانه مجموعة من الصور ، والكاميرا كما يدعى لا تكذب . صحيح انه كان هناك زمن وضع الناس فيه ثقة عمياء في صدق الكاميرا ، ولكن هذا الزمن مضى وانقضى منذ امد . واصبح معروفا أن الكاميرا لا تقل صدقا أو كذبا عن المصور الذي يستخدمها ، ولذا فانها بالتالي تستطيع أن تأتي كذبا وهي أحيانا تفعل . اما في الكتاب الذي نبحثه ، فليست الكاميرات والمصورون هم الذين يكذبون قدر ما يكذب المحرر، كورنيل كابا ، الذي يقدم صورة لاسرائيل بعيدة جدا عن أن تكون « الواقع » ، وذلك باختيار للصور مفرط في التحيز واختيار سيء جدا للتعليقات .

انه لامر مدهش ان يعود كتاب صدر عام ١٩٦٩ ليصغي الى المثل الاعلى الذي كان يتبناه الصهيونيون قبل اربعين او خمسين او حتى ستين سنة ، وهذا المثل بالتحديد هو أن اليهودي المديني سيتخلص من عقدة الكوسموبوليتية بالعودة الى الارض ليصبح فلاحا بسيطا صلبا . فالكتاب الذي بين يدينا يحاول جاهدا أن يعطي انطباعا رئيسيا هو أن اسرائيل بلد زراعي رعوي ، وهذا انطباع معاكس تماما لـ « الواقع » . ومن هنا يضمن المحرر كتابه صورا عديدة للحملان والرعاة منذ العام ١٩١٠ ولمزيد من الحملان والرعاة منذ العام ١٩٥٢. لكن اسرائيل ليست في الواقع بلدا للحملان ، لا الحملان ذات الارجل الاربعة ولا ذات الرجلين الاثنتين . ان واقع اسرائيل الراهن نتاج لفشل المثل الصهيونية منذ البداية عندما طبقت في الممارسة على الارض الفلسطينية . فمنذ وقت مبكر، ابدى المستوطنون اليهود ميلا واضحا لتفضيل الحياة في المدن ، تلك الحياة التي اعتادوها في أوطانهم الاصلية في اوروبا الشرقية والوسطى ، على العمل الذي يسمو بالروح في الكيبوتزات . وهذا هو السبب في أن اسرائيل اليوم واحد من اكثر الاقطار تصنيعا وتمدينا في العالم ، وتكاد تلحق في ذلك بهولندا وبلجيكا . فثلاثة ارباع سكان اسرائيل يعيشون في شريط المدن الساحلية التي تمتد من عسقلان في الجنوب مرورا بتل ابيب وحيفا حتى عكا في الشمال . هذا الشريط المديني هو واقع اسرائيل . ولكن المدن الصناعية في اسرائيل ، كما في غيرها ، ليست جميلة ، وصورها لا تشكل مادة دعاوية جذابة كهذا الكتاب . ولذا فان المحرر يكاد يتجاهل اسرائيل الحقيقية : فمن بين ١٨٠ صورة لا نجد اكثر من اثنتي عشرة صورة تعرض اوجه الحياة الاسرائيلية المدينية، ولكن هذه الصور برغم ذلك تفلح في اعطاء انطباع عن الابتذال القذر الرث . ان الدعاة الاسرائيليين وكذلك اغلبية سكان اسرائيل يعيشون في احياء مغبرة كريهة الرائحة ان لم تكن قبيحة وقذرة . وبالطبع ليس هذا هو وجه اسرائيل الذي يعرض . ففي جملة وحيدة في اسفل واحدة من الصفحات الاولى يعترف الكاتب « أن الكتاب اصبح ممكنا بفضل هبة من الخطوط الجوية الاسرائيلية (العال) » . وعلى هذا فان السياح اليهود ، من اميركا بصورة رئيسية ، لن يستقلوا طائرات العال الى اسرائيل اذا قيل لهم مسبقا انهم سيرون حارات خلفية كتلك التي يعيشون فيها .

ان من بين الصور المثيرة للانتباه في هذه المجموعة تلك الصور التاريخية التي تعود الى فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى. وواحدة منها تصور الشارع الرئيسي في بتاح تكفا وتعود الى ١٩١١ ، وهي مثيرة على وجه الخصوص لانها تبين ان الصهيونيين استطاعوا ان يخلقوا على بعد بضعة أميال من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط نسخة مضبوطة لقرية انموذج لقرى البلقان أو أوروبا الوسطى . وهذه الصورة بالاضافة الى بعض الصور الاخرى توضح بجلاء أن المستوطنين الصهيونيين كانوا غرباء عن الشرق الاوسط تماما حتى في ذلك الحين : لقد كانوا غرباء الى حد جعلهم يخلقون حولهم منظرا طبيعيا اجنبيا .

وبغض النظر عن التحريف المتعمد غير الواقعي ، فان الكتاب في بعض التعليقات على الصور يكذب كذبا مفضوحا . وأسوأ هذه الاكاذيب قاطبة تلك التي ترافق صورة لجنود المدرعات الاسرائيليين وهم يعتمرون الخوذ الفولاذية وفي الوقت ذاته يرتدون ملابس الصلاة ويحملون الكتاب المقدس ، واعينهم تتطلع نحو السماء مليئة بالخشوع والتقوى : ويفترض أن يكون هؤلاء « جنودا